انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين
سنة ثم من صلصال اربعين سنة فتم خلقه مائة وعشرون سنة
ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الحين
المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره وقال
الحسن خلق الله كل الاشيا ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر فهو
قوله تعالى لم يكن شيا مذكورا فان قيل ان الطين والصلصال والحما
المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والاية تقتضي انه مضى
على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الحين
ما كان شيا مذكورا فالجواب ان الطين والصلصال اذا كان مصورا
بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير
انسانا صح تسميته بانه انسان ومن قال ان الانسان هو النفس
الناطقة وانها موجودة قبل وجود الابدان فالاشكال عنهم زايل
واعلم ان الغرض من هذا التنبيه على ان الانسان محدث واذا كان كذلك
فلا بد من محدث قادر قوله لم يكن في هذه الجملة وجهان احدهما
انها في موضع نصب على الحال من الانسان اي هل اتى عليه حين في هذه
الحال والثاني انها في موضع رفع نعتا لحين بعد نعت وعلى هذا فالعايد
محذوف تقديره حين لم يكن فيه شيا مذكورا والاول اظهر لفظا ومعنى
فصل روى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى لم يكن شيا
مذكورا لا في السما ولا في الارض وقيل كان جسدا مصورا ترابا وطينا
لا يعرف ولا يذكر ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه
الروح فصار مذكورا قاله الفرا وقطرب وثعلب وقال يحيى بن
سلام لم يكن شيا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق
حيوانا بعده ومن قال ان المراد من الانسان الجنس من ذرية ادم
عليه الصلوة والسلام فالمراد بالحين تسعة اشهر مدة الحمل في بطن امه
لم يكن شيا مذكورا اذا كان مضغة وعلقة لانه في هذه الحال جماد لا خطر
له وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما قرا هذه الاية ليتها تمت فلا
نبتلي اي ليت المدة التي اتت على ادم لم يكن شيا مذكورا اذ كان مضغة
وعلقة لانه في هذه الحال جماد لا خطر له تمت على ذلك فلا يلد ولا يبتلى
اولاده وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرا هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا فقال ليتها تمت قوله انا خلقنا
الانسان يعني ادم من غير خلاف من نطفة اي من ماء يقطر وهو المني
وكل ما قليل في وعاء فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه
ما لي اراك تكرهين الجنة هل انت الا نطفة في شنه
وجمعها نطف ونطاف قوله امشاج نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا
لمفرد لانه في معنى الجمع كقوله تعالى رفرف خضر وجعل كل جزء من النطفة
نطفة فاعتبر ذلك فوصفت بالجمع وقال الزمخشري نطفة امشاج
كبرمة اعشار وبرد اكياش وثوب اخلاق وارض سباسب وهي الفاظ
مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال نطفة مشج قال
الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين
ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما
فقد منع ان يكون امشاجا جمع مشج بالكسر قال ابو حيان وقوله مخالف
لنص سيبويه والنحويين على ان افعالا لا يكون مفردا قال سيبويه
وليس في الكلام افعال الا ان يكسر عليه اسما للجميع وما ورد من وصف
المفرد

المفرد بافعال تاولوه انتهى قال شهاب الدين هو لم يجعل افعالا مفردا
انما قال يوصف به المفرد يعني التاويل ذكرته من انهم جعلوا كل قطعة من
البرمة برمة وكل قطعة من البرد بردا فوصفوهما بالجمع وقال ابو حيان
الامشاج الاخلاط واحدها مشج بفتحتين او مشج كعدل واعدال او
مشيج كشريف واشراف قاله ابن الاعرابي وقال روبة
يطرحن كل معجل نشاج لم يكتس جلدا من دم امشاج
وقال الهذلي يصف السهم بانه قد نفذ في الرمية فالتطخ ريشه وفوقاه
بدم يسير
كان الريش والفوقين منها خلاف النصل سيط به مشيج
ويقال مشج يمشج مشجا اذا خلط ومشيج كخليط وممشوج كمخلوط انتهى
تجوز ان يكون جمعا لمشيج كعدل وقد تقدم ان الزمخشري منع من ذلك وقال
الزمخشري ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى نطفة امتزج بالماءان وقال
القرطبي ويقال مشجت هذا بهذا اي خلطته فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط
وخليط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم وهو دم الحيضة وذلك ان المراة
اذا تلقت ما الرجل وحبلت امسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم
وقال الفرا امشاج اختلاط ما المراة وما الرجل والدم والعلقة وروى
عن ابن عباس رضي الله عنه قال الامشاج في الحمرة والبياض في الحمرة وعنه
ايضا قال يختلط ما الرجل وهو ابيض غليظ بما المراة وهو اصفر رقيق
فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ما الرجل وما
كان من دم ولحم وشعر فهو من ما المراة قال القرطبي وقد روي
هذا مرفوعا ذكره البزار وعن ابن مسعود امشاجها عروقها المضغة
وقال مجاهد نطفة الرجل بيضا وحمرا ونطفة المراة خضرا وصفرا
وقال ابن عباس خلق من الوان خلق من تراب ثم من ما الفرج
والرحم وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم ونحوه قال
قتادة هي اطوار الخلق طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا
عظاما ثم يكسو العظام لحما قال ابن الخطيب وقيل ان الله تعالى جعل
في النطفة اخلاطا من الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف
وتم الكلام قوله نبتليه يجوز في هذه الجملة وجهان احدهما انها
حال من فاعل خلقنا اي خلقناه حال كوننا مبتلين له والثاني انها
حال من الانسان وصح ذلك لان في الجملة ضميرين كل منهما يعود على ذي
الحال ثم هذه الحال يجوز ان يكون مقارنة ان كان المعنى نبتليه
نختبره بتصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة كما قال ابن عباس وان تكون
مقدرة ان كان المعنى نبتليه نختبره بالتكليف لانه وقت خلقه
غير مكلف وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ناقلين له من حال الى حال
فسمي ذلك ابتلا على سبيل الاستعارة قال شهاب الدين وهذا معنى قول
ابن عباس المتقدم وقال بعضهم في الكلام تقديم وتاخير والاصل انا
جعلناه سميعا بصيرا نبتليه اي جعلنا له ذلك للابتلا وهو الاحاجة
اليه فصل قوله نبتليه معناه لنبتليه كقولك جيتك
اقضي حقك واتيتك استمنحك كذا ونظيره قوله تعالى ولا تمنن تستكثر
اي لتستكثر ومعنى نبتليه نختبره وقيل نقدر فيه الابتلا وهو
الاختبار وفيما نختبره به وجهان احدهما قال الكلبي نختبره بالخير والشر
والثاني قال الحسن نختبر شكره في السرا وصبره في الضرا وقيل نبتليه

Copyright King Saud University